د. الياس فرح

كيف نواجه الصهيونية كحركة عنصرية ؟

يصعب دون شك في عالم كعالمنا الراهن ، الاعتماد على المقاييس والمعايير المتعلقة بمفاهيم الزمان والمكان والتطور والمراحل التاريخية ، التي كانت سائدة قبل ان تخضع بنيه المجتمعات البشرية لعمليـــة البنى الاساسية والتغيير المتصارع والشامل . واصبح لا بد في مثل هذا العالم ، من رؤية جديدة وفهم أعمق لطبيعـــة التطور التاريخي ومتابعة مسيرته . كما لا بد من بصيرة تاريخية ثاقبة من أجل اكتشاف المنعطفات والمراحل الحقيقية لهذا التطور ، التي تؤشر ملامح المستقبل القريب والبعيد .

فلم تعد النظرة البسيطية المقرونة بتفاؤلية تاريخية ساذجة ، تكفي لاستيعاب تطور تاريخي لم يعد ايقاعه بطيئا ، بل ان كميـــة المفاجآت في سياق هذا التطور باتت تشكل تحديا أمام جميع مناهج الفكر القديمه وأصبحت تتطلب نباهة تاريخية من مستـــوى جديد ، وقدرة على تركيب المعطيات الجديدة في عالم اليوم ، ونظرة عميقه من الداخل الى المشكلات والقضايا المعقدة في هذا العالم ، وقدرة عـلى التجرد والنظر الى المستقبل بعين الانسانية بكاملها .

بهذا كله ، وبهذا وحده ، يمكن أن نتعامل مع المستقبل تعاملا مستنيرا مستندا الى فهم للمرحلـــة التاريخية في سياقها العـــام والخاص ـ يجلو سماتها ويسمح بالتنبؤ بما يكمن في داخلها مـــن مؤشرات واعدة أو منذرة . أن التـــــفاؤلية التاريخية المعتمدة عـلى الاستسلامية الحتمية تهبط في تبسيطيتها الى درجة العجز عن ادراك الطبيعة المعقدة للصراعات القائمة في عالم اليوم . كما ان التشاؤميـة تعكس ، من طرف آخر ، الى جانب التجاهل للحصيلة الايجابيه للتطور البشري والجهل بطبيعة المرحلة الراهنة من هذا التطور ، هبوطا فـي التوتر النضالي وفي الاستعداد للكفاح ، ونوعا آخر من الاستسلاميـة الحتمية للامر الواقع ولمنطق القوة الفاشمة .

صحيح أنه في عالم الثورات العلمية والتقنية والاعلامية وثورات الشعوب والجماهير الكادحه ، أصبحت الحقـــوق اهدافا للنضـــال اليومي ، الا انه صحيح ايضا ان حصيلة التطور الفكري والمـــادي للبشريه اليوم ، تستخدم بحذق ودهاء من القوى المعادية لهذا التطور . وان الاحتلال والغزو والطغيان والتعصب والكراهية ، وبكلمة واحدة (العنصرية) ، تقترن في عالم اليوم بظواهر وأسلحة جديدة ومتطـورة أيضا . ان جدلية عملية التطور تتشابك وتتعقد وتتعدد تناقضاتها وسط محاولات التزييف والتخدير والتضليل والتآمر ، باشكالها المتشحـة احيانا بايديولوجيات ذات بريق خادع ، والسافرة في تحديها لقيـم التطور البشري احيانا اخرى .

ونحن العرب ، لا نستطيع ان ننظر الى العنصرية والى الصهيونية العنصرية) كشكل خاص من اشكالها الا على ضوء هذه الحقيقة .

فالصهيونية كظاهرة عنصرية لا يمكن فهمها وتحليلها الا على ضوء سياق التطور التاريخي للعالم الراهن ، الذي يشهد بتفتح شعوب وانبعاث حضارات وتحولات حاسمه في اتجاه التقدم والتحرير والسلام. كما لا يمكن ادراك خطورتها الا على ضوء التناقض القائم في المستـوى التاريخي والحضاري ، بين اليقظة العربيه والمشروع الصهيوني .

فما هي أبعاد هذا المشروع ؟ وما هي أبعاد المواجهه المصيريه معه كوجود وكحركه عنصرية ؟

الصهيونية واليهودية

قد يقال بأن الصهيونية « فكرة أوروبية واميركية » (١) . الا انها بالقدر نفسه ايضا « يهودية » . فاذا كان الوجود الصهيوني في فلسطين يدين للمصالح الاستعمارية والامبريالية الاوروبيه والاميركيه ، التـي ساهمت في تحقيقه ودعمه .. فان ذلك لا يمكن ان يحجب حقيقة كونه تعبيرا عن ايديولوجية ، وعن تطلعات ، بعيدة الغور في العقيدة اليهودية نفسها . وحتى لا نكون نظرتنا الى الصهيونية نظرة جزئية ، ينبغي بالقدر الذي تؤكد فيـــه صلة الايديولوجيات والممارســات الصهيونية بالمخططات الاستعمارية القديمة والامبريالية الحديثة ، أن لا نكتفي بأن ننظر الى الصهيونية والوجود الصهيوني بانها مجرد أداة وامتداد لتلك المصالح والمخططات الامبرياليه الطامعة بثروات الوطن العربي وموقعه الجغرافي الاستراتيجي والخائفه على مصير مصالحها من يقظة الامة العربيه ومن نضال الشعب العربي من اجل استعـادة وحدته وحريته وتقدمه .

وبالمقابل فان تأكيد الارتباط والصلة القائمه بين الصهيونيـــة وبين التاريخ والقيم والحياه اليهودية ، ينبغي ألا تكون على حســاب التمييز بين حقيقتين رئيسيتين :

١ ـ ان الصهيونية بحكم طرحها مشكلة الثنائية أمام اليهودية قد جعلت المعادلة بين الصهيونية واليهودية تصطدم بروح العـــالم الراهن وتركيبه وعلاقاته . وبالتالي جعلت الانفصال واقعا بين طرفي المعادلة . لان الصهيوني وحده هو الذي يقبل وضع هويته (الفرنسية أو الاميركية أو الالمانية) في خدمة (هويته الصهيونية) بشكل مطلق.

٢ ـ ان الصهيونية بالرغم من انها صرخة نابعة من آلام اليهود عبر التاريخ ومحاولة لانقاذ التاريخ اليهودي من مسلسل الاضطهاد ، الا انها بحكم تجاهلها لكل سلاسل الآلام الاخرى في حياة الشعـــوب وخاصة المعاصرة ، وبحكم ارتباط المشروع الصهيـــوني ارتباطا مباشرا باستراتيجيات الدول المستعمرة ، واصطدامه مباشرة بمصالح النضال

---

(١) ارجع الى كلمة الجامعي النروجي (نيلس وتشون) في ندوة ليبيا عن « الصهيونية والعنصرية » ٢٤ ـ ٢٨ تموز ١٩٧٦ .

العربي وبنهضة الشعب العربي للتحرر من التخلف ومن الاستعمار ومن التجزئة ... كل ذلك قد جعل من الصهيونية عمليـــة أسهل للمشكلة اليهوديه أكثر منها عملية حل لها ، وعملية ربط لهذه المشكله بالمخططات والمصالح الامبريالية ، وعمليه قطع طريق على تيار التحرر العربـي .

ومن هنا كان لا بد للطبيعه العنصرية المأصله في الايديولوجيه الصهيونية أن تعبر عن نفسها بممارسات عنصرية لم يكن ثمه مقدمات تاريخية لها في علاقة الأمة العربية باليهودية . فقد خلقت الصهيونيه أزمة مصطنعه بين اليهود والعرب ، واستعانت بكل رواسب العنصريه في الحياه الاوروبيه ضد العرب ، وكان نهجها الثابت أن تتمكن من خلق عصبيات عنصريه متأججه تمتد داخل الوطن العربي ، كما نشاهد في أحداث لبنان .

وبكلمة واحدة كانت الصهيونيه على صعيد العلاقه بين العرب واليهود خطيئه تاريخيه انقلبت الى مسلسل من الجرائم والمآسي ، لا بد من أجل مواجهه شروره من استيعابه بأكبر قدر ممكن من التجرد والصدق والاخلاص لمصالح الشعوب والاحترام للقيم الانسانية . ومن هذه الزاويه ندرك لماذا أسدعى قرار الامم المتحده حول « عنصريـــه الصهيونيه » بصورة آليه ، الصلة بقرار « تقسيم فلسطين » ، أي بأساس منشأ الكيان الصهيوني .

قرار الامـم المتحـــدة

في حديثه مع صحيفه «اوروبا» اللندنيه بتاريخ ١٤ ـ ١١ ـ ١٩٧٥ يقول (ايفال آلون) تعليقا على قرار الامم المتحدة باعتبار (الصهيونية شكلا من العنصرية والتمييز العنصري) :

« وان المنطرفين العرب أرادوا في الامم المتحـــدة تمرير قرار يزودهم بقاعدة اساسية ودعائيه لانهاء وجود اسرائيل » . ثم يردف قائلا : « انه من السخرية ان الصهيونية التي كانت أساسا تعبيرا عن الثورة ضد اللاساميه وضد التمييز العنصري ، وتمثل شعبا كان أكبر ضحية للتمييز العنصري في العالم ، تدان بنفس المستوى بالنسبـــة للتمييز العنصري والاستعمار » . وهكذا يبدو القرار بالمنطق الشكلي متناقضا ، لان النتيجة المترتبة على القياس الارسطي (غير المباشر) الذي يستخدمه آلون تقول :

الصهيونيه حركة مضادة للاساميه ، اللاساميه حركه عنصريه ، اذن الصهيونية حركة مضادة للعنصرية .

كما ان القياس المباشر يقول : الصهيونيه تمثل شعبا كان ضحيـــة للتمييز العنصري ، اذن الصهيونية مضادة للتمييز العنصري .

ومن الطبيعي ان يكون هذا التناقض الظاهري الذي يبدو أو ما يزال يبدو تناقضا حقيقيا بالنسبة للاوساط المشبعـــة بالتأثير الصهيوني والبعيدة عن ملامسه الحقائق الموضوعية التي تجري على مسرح فلسطين والوطن العربي بوجه عام ... هو الذي جعل القرار الذي صدر عـــن الامم المتحدة يبدو لهذه الاوساط ظالما متعسفا ، فيه من التحدي اكثر مما فيه من التبصر . وانه لعبة لئيمة تكتلت من أجل انجاحها قـــوى فاقدة للشعور بالمسؤولية الدولية والتاريخيه (ويقصدون بذلك الدول الاسيوية والافريقية بوجه خاص) . ونحن في هذه الندوة الفكريـــه العالمية ، تدفعنا المسؤولية التاريخية الى الحرص على أن تأتي أفكارنا نابعة من حاجات ودوافع ، متجاوزة لما هو عـــابر وسطحي وانفعالي ومصطنع ، وملتحمة بمصلحه الشعوب والامم والطبقات الكادحة والمقاومة لا بمصالح طبقية وفئوية وذاتية ضيقة ، ومستهدفـــة خير الانسانية ومستقبل الجنس البشري والقيم التي تعطي لوجوده المعنى الحضاري الايجابي والتقدمي المنسجم مع التطور الموضوعي للمجتمعات البشريـــة والتاريخ الانساني .

وعلى هذا الاساس ، فاننا لا بد أن نؤكد على عدة منطلقات منهجية نعتصم منطلقنا ونظرتنا الى المشكلة عن الوقوع في أخطاء أساسية ننجم عنها نتائج تحملنا مسؤوليات تاريخيه :

أ) ضرورة النظر الى المشكله من داخلهـــا ، اي عبر الأطار والممارسات التي تشكل بمجموعها جذر المسأله والتي تؤثر فاعليتهـــا وساحه المعركه فيها على أرض فلسطين ، وينسع اطارها ليشمل الوطن العربي ، وتمتد آثارها على الانسانيه بكاملها . واهمية هذا المنطلق تبدو جلية واضحة بالنسبه لاولئك الذين ينظرون الى الوجود الصهيوني كامتداد للغرب الاوروبي ثم الاميركي ، امتداد لحضـــارته وتسميره بالذنب ، ويكتفون بالنظر الى المشكله الفلسطينيه من خلال ذواتهـــم لا من خلال معطياتها ، ومن خلال ما تفديه الدعايه الصهيونيه فـــي نفوسهم لا من خلال المأساة الحقيقية التي دفع العرب وما يزالون ثمن الذي فلما يدفعه أو يمكن ان يدفعه شعب آخر في هذا العصر . اذا لم ننهض في وجه التحدي الصهيوني ارادة انسانيـــة شامله ووعي بصري مؤازر لهذا الشعب العربي الفلسطيني الذي يصلب تله وفـــي كل يوم ، على أرض فلسطين وفي الاردن وفي لبنان وفي سوريا وعلى امتداد الساحة العربية أحيانا وعلى مستوى العالم بأسره ، بايـــدي المخططين والمنفذين للمشروع الصهيوني ، يهودا كانوا أم عربا أو من أمم أخرى ، فقرار الامم المتحدة لم يكن الا تعبيرا عن تطور في الوعي العالمي لحقيقه الوجود الصهيوني . وقد تمثل هذا الوعي في القطاع الاكثر تعرضا للظلم في العالم ، أي في قارتي آسيا وافريقيا ، وبعض اقطار اميركا اللاتينية ، فضلا عن القوى التقدمية والاشتراكيـــه في العالم ، لان هذه القوى استطاعت أن تنظر الى المشكلة من داخلهـــا بحكم وقوع بعضها تحت الظلم الاستعماري والتمييز العنصري طويلا ، وبحكم اكتشاف البعض الآخر للتحالف الثابت بين الصهيونية والامبرياليه والرجعية في العالم .

ب) الحاجة الى (النظرة الكليه الشاملة) الى المشكلـة ، اي النظرة التي تتجنب النزعة الجزئية فلا تكتفي بالنظر الى المسالة من وجه واحد أو بالتركيز على جانب واحد من جوانبها على حســـاب اهمال الجوانب الاخرى .

وأهميه هذا المنطلق تبدو بوجه خاص كعـــامل في تحقيق شرط أساسي من شروط الموضوعية ، لان النظرة الكلية الشامله تساعد على الخروج من اطار الذاتيه وعلى استيعاب المشكلة في اطارها الجامع ، وفي مضمونها المتشابك المعقد ، فلا تقف عنـــد النظرة البسيطية القاصرة ، ولا تغرق فـي النزعه التجريدية للواقع ، ولا تلتزم بوجه مطلق بمقولات لا تعبر عن الواقع الحي وعن الابعاد الحقيقية والعوامل الجوهرية للمسألة الفلسطينية ،والاهداف والمصالح التي ساهمت في خلقها وفي ايصالها الى ما هي عليه كأزمة دائمه للسلام العالمي ، فضلا عن كونها مأساة شعب ، وأزمة قيم ، ومعضلة تاريخية .

ان آلام اليهود في المانيا النازية أثنـــاء الحرب ، كآلام عرب فلسطين بعد الحرب ، وكآلام الافريقيين والزنوج وجميع ضحـــايا التمييز العنصري في العالم ، تشكل هموما مشتركة لنا جميعا ، تدفعنا الى فضح الدوافع العنصرية الكامنة وراءها ، بقدر ما تدفعنا هـــذه النظرة الشاملة الى البحث عن المصدر الذي تنبع منه ، والى التصدي لجملة العوامل المترابطة التي زرعت الشر في هذه المنطقة او تلك من العالم ، ثم توضع حد لخطرها وتهديدها للسلام في العالم باجتثاث أصل الشر . وهي عملية دقيقـــة ومعقدة بحكم تشابك العوامـــل وتداخلها ، فلا بد من الاحاطة بهذه الشبكـة كلها ، فالعنصريـات في عالمنا تكاد تنبع من مصدر واحد أو تصب في مجرى واحد . والعنصرية الصهيونية ليست سوى جزء من كل هو (العنصرية في العـــالم) ، الذي يجسده التحالف الامبريالي الصهيوني .

ج) ان النظرة الشاملة الكلية تحتم النهج الفكري المكمـــل لها

المتمثل بالنظرة الجدية التي تستوعب الواقع وتناقضاته وأطراف المعادلة في وجهيها العام والخاص . فنحن لا نستطيع أن نكتفي بخصوصية المسألة العنصرية في مكان ما بعيدا عن اطارها المشترك العام . كما أننا لا نستطيع من طرف آخر وبحجة ادانة العنصرية في كل زمان ومكان أن نجعل من هذه الادانة سببا أو وسيلة للتخفيف من شأن المكان الذي تتجلى فيه العنصرية بأقبح أشكالها وأبشع مظاهرها ، أو عاملا من عوامل التغاضي أو التهوين من خطر الممارسات العنصرية في هذا المكان .

ان ظلما قد وقع على اليهود ، الا أن الظالم آمن وحكم وعوقب واصبح لعنة من لعنات التاريخ . أما الظلم الواقع على العرب فما يزال يصرخ في وجوهنا كل يوم ، لان الظالم يمنع بتمام ظلمه ، ويمعن في تخريب الحياة العربية وقطع الطريق على استعادة شروط بنيان هذه الحياة من جديد على أسس حضارية تعيد الصلة الحية بماضي العرب الحضاري ويروح هذا الماضي ويساهم في صنع مستقبل انساني للبشرية .

فلا بد اذن لفهم جوهر المسألة الفلسطينية من أن نقرن النظرة الجدلية بالنظرة الشاملة وأن نعرف كيف نحيط بأبعاد المسألة ، حتى نعرف كيف نبني تصورنا لمواجهة أخطار المستقبل ونكفل عدم تكرار هذه المآسي في حياة اليهود ونقرب على السواء وننصدى بحزم لكل الافكار والممارسات العنصرية أين وجدت ومتى وجدت .

د) وأخيرا لا بد من التأكيد على ضرورة (النظرة الجذرية الى المسألة) . فالمشكلة سوف تظل قائمة اذا لم نعالج من الاساس ، واذا لم نتجاوز المظهر السطحي المصطنع المفروض بالقوة الذي يعبر عن وجود فلق منفجر . فالمشكلة تكمن في الطبيعة العنصرية للفكر الصهيوني وفي الممارسات التي أكدت الجوهر السلبي للصهيونية ، الجوهر اللاانساني لها . فهي التي لم تولد ولادة طبيعية بريئة من آلام اليهود ولا من الدوافع الانسانية لهذه الآلام ، ما كان لها بالطبع أن تعترف بآلام العرب أو أن تفهم قضيتهم فيهذا العصر بحكم ارتباط الصهيونية بمصالح جعلت المشروع الصهيوني أداة عدوان وتهديد دائم لمستقبل النهضة العربية .

لذلك فانه ما لم نستوعب هذه الحقيقة وهي أن الفكر الصهيوني قد ولد من رد فعل على حالة الاضطهاد، اي على اللاسامية، ومن استغلال لهذه الحالة من أجل دفع الحياة اليهودية في طريق مسدود تاريخيا ، وانه لم يكن معالجة عميقة وعلمية لمشكلات اليهود وان عنصريه جزء من تكوينه ، وان المعالجات السطحية ذات الطابع السياسي الموقت المعتمد على القوى والمخططات السياسية النسووية أو التصفوية للقضية الفلسطينية لا يمكن أن يتوفر لها النجاح الحقيقي الذي يوطد السلام ويحرز الالفة بين العرب واليهود — نعم بدون ادراك هذه الحقيقة لا يمكن أن نصعد الى اصول المشكلة ولا يمكن أن تكون مواجهتنا للتحدي الصهيوني العنصري ، مواجهة أساسية ، سيما وان المهمة الكبرى التي تقع على عاتق هذا المؤتمر هو أن يجيب على السؤال الكبير الصعب :

كيف نواجه الصهيونية كحركة عنصرية ؟

ان المنطلقات المنهجية التي سبقت الاشارة اليها تساعدنا بادىء ذي بدء على تقرير جملة من الاسس التي لا بد منها لتحديد جوابنا على السؤال المطروح على هذا المؤتمر :

١ — ان ظواهر التمييز العنصري مجافية لطبيعة عصرنا ، عصر الاشتراكية الذي بدأت ملائمه مع النصف الاول للقرن العشرين مع الثورة البلشفية التي فتحت صفحة جديدة في تاريخ الانسانية . وان من الفهم الخاطىء لحركة التاريخ أن تقدم الصهيونية في الاساس ، على اعتبار اللاسامية ، هي احدى ظواهر التمييز العنصري ، نزعة لا يمكن أن تزول ولا سبيل الى التخلص منها ولا مجال لمقاومتها والوقوف في وجهها ، وانها (متأصلة) الى الدرجة التي تكاد تبدو فيها كما لو انها « مشروعة » لتبرر « شرعية » ادهى منها وامر وهي الاحتلال وغزو فلسطين وتشكيل دولة يهودية ، أي شرعية اغتصاب أرض وشريد شعب ، تحت ذرائع تاريخية هي ضد منطق التاريخ .

٢ — ان تجاوز هذه النقطة الاساسية ، أو محاولة تبريرها وتمريرها تحت شتى المبررات والتسويات ، خروج عن منطق الحكمة والقيم الانسانية والواقع الحي والتاريخ ، كما أنه منطلق خاطىء وغير واقعي على المدى البعيد وغير تقدمي ، يفضي الى سلسلة لا حدود لها من الاخطاء .

ان كون الصهيونية — في فكرها وتنظيمها وأهدافها — جاءت كرد فعل على حالة عارضة معرضة للزوال ، وهي «العنصرية اللاسامية» ، فان « رد الفعل » كان لا بد أن يجعل الصهيونية ، بمنظارها التشاؤمي الرجعي الى مستقبل الانسانية هذا تقابل « اللاسامية العنصرية بسامية عنصرية » . وقد كان العرب هم الضحية أمام عنصرية الصهيونية كما كان اليهود ضحية عنصرية النازية واللاسامية الكامنة وراءها .

ان « رد الفعل » لا يستطيع أن يحقق أكثر مما يحققه الدوافع الغريزية العضوية البدائية المشبعة بالانفعال والقصيرة النظر . والحقائق الايجابية ، انما تأتي نتيجة تجاوز « رد الفعل » و «الانفعال» الى المعالجة الاساسية الجذرية المستندة الى فهم عميق واخلاص للحقيقة والتزام بما يتطلبه النضال من أجلها .

لقد وقعت الصهيونية نتيجة الاكتفاء برد الفعل على اللاسامية في أخطاء العنصرية . وهي لا تستطيع أن تتجاوز أخطاءها بذاتها . لان وجودها العنصري في فلسطين وممارستها بحق العرب ، قد حولت أخطاءها الى خطايا ، بل أصبح تجاوز رد الفعل على اللاساميه رهنا بنضال مشترك بين العرب واليهود ضد الامبريالية والممارسات الصهيونية التي ألحقت بالعرب ونهضتهم المعاصرة أفدح الضرر ، وزجت باليهود في مأزق تاريخي لا سبيل للخلاص منه الا بالخروج من اطار المشروع الصهيوني ، والعمل ضمن منطق التاريخ ، منطق التفاعل المشترك والنضال المشترك ضد العنصرية بجميع مظاهرها واشكالها وهي جميع خنادقها وزواياها .

٣ — ان مستقبل الصهيونية بات مرتبطا بشكل أساسي وحاسم بمستقبل الامبريالية الاميركية . لان تطور الحركة الصهيونية منذ نهاية القرن الماضي حتى قيام « دولة اسرائيل » عام ١٩٤٨ كان يعتمد على تعاون ودعم السلطات الاستعمارية الامبريالية المسيطرة في العالم . ثم ان تطور الكيان الصهيوني في فلسطين أخذ يعتمد بعد ذلك وبشكل متصاعد على الامبريالية الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية . كما ان استقرار هذا الكيان وأمنه وتوسعه ومستقبله العدواني بحكم قيامه فكرا وممارسة على نزعة عنصرية متأصلة ، أصبح يعتمد اكثر فاكثر على نجاح هذا الكيان في بعث عنصريات غافية واصطناع عنصريات جديدة لتفتيت الوطن العربي واغراقه في الحروب الاهلية ، ودعم الطبقات الرجعية وانظمة الحكم المدعومة من الاجنبي الفاقدة للروح الوطنية والمعادية لجماهيرنا الكادحة ، ومحاولة ارجاع الاوضاع في الوطن العربي الى الوراء وخنق روح النهضة العربية ، وتحويل العرب عن طريق التطور والتقدم والنزوع الحضاري ، الى الاستسلام لضرورات وحاجات الستراتيجية الامبريالية الصهيونية الرجعية في المنطقة ، وقتل روح النضال وترك الثروات العربية والجماهير العربية الكادحة، أسرى النهب والتحكم والاستغلال الاستعماري الصهيوني الرجعي وقطع الطريق على الدخول في مرحلة تاريخية جديدة نضجت كل عوامل الدخول فيها .

لذلك فان معركة العرب مع التحدي الصهيوني العنصري هي اوسع من أن تحصر بين أنظمة عربية وبين الكيان الصهيوني ، لان بعضا من هذه الانظمة ينفذ مخططات امبريالية وصهيونية بأبعد مما تحلم به

القوى الامبريالية والصهيونية ، كما ان المعركه هي أعمق من أن تكون بين الواقع العربي الراهن والواقع الصهيوني الراهن ، وأكبر من خلاف على أشبار من الارض أو على سيادة جزئية على شبر من هذه الارض . والمعالجة الجذرية لا بد أن تجاوز حدود السويعات مع القوى العابره في مجرى التطور العربي وفي الحياة اليهودية ، ثم أن المعركه ليست معركه بين (عرب ويهود) . وكل هذه الصور زائفه تماما كزيف المحاولات التي تختصر أحداث لبنان اليوم ونصفها بين (مسلمين ومسيحيين) .

انها معركه بين حركه التاريخ الصاعدة في هذه المرحله من حياة العرب ومن حياة الانسانية ، وبين المشروع الصهيوني الذي بني على العنصرية وحمل معه بذور فنائه المحتوم .

وهذه المعركه تتسع لتشمل جميع من لهم مصلحه في انتصار ارادة الحق ، اراده التاريخ والحياه المعاصرة والقيم الحضارية والانسانيه . وانها تجمع النضال المشترك العربي اليهودي أولا ضد المشروع الصهيوني ، وتجمع القوى المحبه للسلام والعدل في العالم ، قوى الاشتراكية والتحرر والتقدم لمجابهه التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي الذي يهدد مستقبل التطور والحريه والسلام في العالم .

أبعاد المواجهة للصهيونية كحركة عنصريه

١ ـ ان البحث في هوية الصهيونية ـ من حيث ايديولوجيتها وممارساتها ـ يتركز عادة حول بعدي الزمان (الماضي والحاضر) لوجود الصهيونية كحركة عنصريه . أما البحث في كيفيه التصدي لهذه الحركه ومواجهه أخطارها ، فانه يتعلق بالمستقبل ، أي بالبعد الزماني الذي يتوقف عليه مصير هذه الظاهرة ومصير المجتمعات البشرية والقيم الانسانية التي تعرضت ، وسوف تبقى مهددة باستمرار بافدح الاخطار بسبب طابعها العنصري .

ولا يمكن الكلام عن المستقبل بروح علمية أو التخطيط له ، دون استقراء علمي لوقائع الماضي وأحداث الحاضر ، ودون اكتشاف الابعاد الكبرى والمحركات الاساسية للسلسله التاريخية ، والتفاعل المتقاطع بين الاتجاهات المتجاوبة مع حركة التاريخ ، وبين الاتجاهات المعاكسه لها ، المقاومة لخطها التقدمي الصاعد .

وكلما كانت المعرفة حيه غير مجردة ، وكانت مستوعبه أسبقيا عميقا وداخليا لاحداث الواقع ، ومعتمدة على فهم لقوانين الصراع أي متمتعة ببصيرة تاريخية ، كلما كانت مدخلا سليما لجعل أحداث الماضي والحاضر في خدمة مستقبل الانسانية . لذلك فان الفهم العلمي الجدلي التاريخي للظاهرة الصهيونية ، القائم على استيعاب جمله مكونات افكارها وممارساتها في فلسطين ، لا بد أن ينطلق في نظرته الى مستقبل هذه الظاهرة العنصرية ، من حاجات النضال العام ضد العنصرية في العالم بوجه عام ، ومن حاجات النضال الخاص ضد الافكار والممارسات العنصرية للصهيونية كوجود سلبي في فلسطين يهدد مستقبل الحياة اليهودية والنهضة العربية والسلام في العالم .

٢ ـ ان الجرح التاريخي في فلسطين ، أخذ شكل مؤامرة تاريخية تمس العرب واليهود وتمتد آثارها وأخطارها لتشمل دولا وأنظمة وقارات ، ولتهدد قيما وحقوقا وحياة شعوب وأممها . وهذه المؤامرة التاريخية لا يمكن ان تواجه مواجهه صحيحة الا بعمل تاريخي يتجاوزها. واذا كانت المؤامرة من صنع التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي الذي ينظر الى مستقبل البشرية كله ، من خلال المصالح والعقد القديمة والقيم والمفاهيم التي تجاوزها التطور الانساني ، فان التصدي لهذا التحالف المولد للعنصريات والذي يولد منها ليغذيها وينغذى بها ، لا يكون فعالا وقادرا على فتح آفاق جديدة في حياة البشرية ، الا اذا استند الى مفاهيم وقيم وممارسات انسانية حضارية تجمع في خط واحد قوى الخير والتقدم في العالم ، قوى الشعوب المقهورة المتطلعه الى الحريه ، وارادات الافراد التاريخيين الذين يحملون في ضميرهم وفي تفكيرهم الشعور بالمسؤولية عن مصير العالم .

٣ ـ ان هذه الستراتيجيه الواسعة الشامله لمواجهه هذا التحالف الذي يغذي العنصرية الصهيونية ، لا بد ان تعتمد على العمل الفكري كعامل أساسي في الكشف المستمر عن حقيقتها من الداخل ومتابعة آثار ونتائج كيانها العنصري في بنى العنصريات أو حقيقتها واصطناعها في المنطقة العربية وفي خلق تيار معاكس لخط التجزئه والوحدة والتقدم في الوطن العربي .

ان الصهيونيه ذات طبيعة عنصرية من نوع خاص مركب يتجاوز في التعقيد وفي الخطر العنصريات الاخرى . وهي كحركه منظمه خاصه تعكس في آن واحد الجانب المتقدم نسبيا والمتفهقر حضاريا من الوجود الاوروبي المعاصر ، فانها تملك القدره على استغلال أحدث التطورات والوسائل لتحجب حقيقتها العنصريه وتتستر بأثواب خادعة ، واسقاط عنصريتها على الغير . لذلك فان الاسلحه الفكرية هي من أهم عوامل المواجهة للتحدي الصهيوني العنصري ، وكلما انتظمت هذه المواجهة واستخدمت هذه الاسلحة بشكل فعال قائم على استراتيجية يرسمها المفكرون المناضلون في العالم ضد العنصرية ، كلما كانت اشد حسما في وضع حد لهذه العنصريه الصهيونية .

ان توعية العالم على حقيقة الممارسات والاهداف الصهيونيه وجذب القوى المحبة للحرية والسلام وتوحيد جهودها ، يشكل عاملا اساسيا في هذه المواجهة .

٤ ـ لقد استفادت الصهيونية كحركة عنصرية من الآثار النفسية التي خلفتها مجريات الحرب العالمية الثانية ، لتمرير مخططاتها في غفلة عن رقابة الضمير الاوروبي وعن الحاسة النقدية للعقل الاوروبي التي خدرتها العواطف ومشاعر الذنب والاثم . ولم تكتف بذلك ، بل راحت تكون انعتاقات المزورة وتصور النضال الفلسطيني التحرري بمظهر يتناقض مع طبيعته ، وراحت تسخر أجهزتها ومؤسساتها ووسائلها لاستغلال أخطاء العرب الناجمة عن التخلف ، أي الاخطاء التي لا يمكن أن يعتبروا مسؤولين عنها من أجل اظهار عدوانها بمظهر الشرعية .

فتقصير العرب في حق أنفسهم وقضيتهم وفي قدرتهم على جلائها وتوضيحها ، كان يضاف الى الجدار العاطفي الاوروبي ، ليشكل عاملا مهما للاستغلال العنصري الصهيوني وتمرير جريمه تاريخية يتضاعف فيها الظلم كل يوم وينسع اطاره وتتعمق آثاره . لذلك فان جانبا من المواجهه للتحدي العنصري الصهيوني ، لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار ضرورة التركيز على مخاطبة العقل الاوروبي وتصحيح آثار مرحلة تراكمت فيها التأثيرات الصهيونية الدعائية المضللة وانفاق قطاعات واسعة لا مصلحة لها في التمييز أو التستر على العنصرية وعدم البصر في عواقب مثل هذه المواقف التي تفتح الباب واسعا امام التضليل العنصري . وأخطر مظاهر هذا التضليل تتجلى في وضع بعض المفكرين للمشروع الصهيوني واليقظة العربية في ميزان واحد وفي كفتين متعادلتين .

٥ ـ ان موقف التحيز العاطفي ، وكذلك الحياد المبني على اعتبارات لا مبدئية ينبغي ان يكونا هدفا من أهداف حملة التوضيح والنضال الفكري ، وأن يكون هذا النضال قاعدة انطلاق أساسية لمواجهة التحدي العنصري الصهيوني . ذلك ان اشكالية القضية الفلسطينية ، أي اصطدام المشروع الصهيوني باليقظة العربية ، ليست صدفة ، كما انها ليست مبررا لاتخاذ مواقف لا مسؤولة او لاتخاذ اهون المواقف وأقلها عرضة للمتاعب . ولا بد في مواجهة الصهيونية كحركة عنصرية من الانطلاق من الاعتماد على الاسس والمبادىء ومن توضيح طبيعة المرحلة التاريخية وطبيعة الصراع القائم بين الصهيونية وبين حركة التحرر العربي وفهمه على حقيقته فهما جوهريا .

فهناك فروق جوهرية لا بل وهناك تناقض بين اساس المشروع الصهيوني ودوافعه ووسائله وأهدافه ، وبين حركة النهضة العربية . فالحركة الصهيونية التي أفرزتها المرحلة الاستعمارية في أوروبا كآخر حلقة من حلقات المد الاستعماري ، والتي نشأت على غرار الحركات الفاشية لكن دون سند شعبي ، والتي حملت في رد فعلها على اللاسامية الاوروبية كثيرا من عنصريتها ، عنصرية (اليهودي الازدوجي) الذي لم يتحرر من اطار (الماضي) ولا من منطق (رد الفعل) أي من الحلقة المفرغة التي تجاوزها التقدم البشري ، على صعيد الفكر والممارسة ـ أن هذه الحركة الصهيونية العنصرية لا يمكن أن توضع في كفة ميزان واحد مع حركة التحرر العربي التي انبثقت من رحم التطور التاريخي ، والتي كانت جزءا من موجة التحرر في القارات الثلاث ، والتي تعتمد في نموها وافكارها ووسائلها على الجماهير العربية الكادحة المناضلة ، وتستلهم روح الرسالة التربية الانسانية في الماضي وتشكل جزءا لا يتجزأ من الثورات الاشتراكية التقدمية في العالم المعاصر . فاكثر الاشياء قربا الى منطق الواقع والحقيقة والعصر ، وبعدا عن الاصطناع والافتعال والسلبية ، الذي تمثله حركة القومية العربية ، لا يمكن أن يكون في نظر انسان يعرف الحقائق ، أو في حساب ضمير منصف ، قربنا لاكثر الاشياء بعدا عن منطق العصر ، سواء من حيث الايديولوجية أو الممارسة ، وعن روح العصر وعن السياق التاريخي الذي نشأ فيه الافكار التحررية والحركات التحررية وحركات الانبعاث الحضاري . فالحركة الصهيونية قامت على تخطيط تحدى فيه كل معطيات التطور في القرن العشرين ، مستهينة بذلك بالقوى الرجعية التي مستها معطيات التطور وهددت مصالحها . وفي النهضة العربية المعاصرة الشيء الكثير الذي يرهب الاعداء ، لان هذه النهضة تصطدم بالاستعمار والامبريالية والرجعية ، فالوحدة العربية وتحرر العرب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وبناء الاشتراكية كطريق وحيد للقضاء على التخلف ولتجديد الحياة العربية ضمن منطق العصر ... ان اهداف النضال العربي المعاصر هذه هي عناوين لتحول حتمي في حياة المجتمع العربي ينعكس مباشرة على المجتمع الدولي ويهدد مصالح الامبريالية والرجعية . ولا يمكن ان يفهم المشروع الصهيوني العنصري الا من زاوية هذا السياق ، أي الا على ضوء كونه يخدم مباشرة النقيض لحركة التحرر العربي ، وكونه يشكل جزءا لا يتجزأ من هذا النقيض ، على صعيدي الفكر والممارسة. لذلك فان مواجهة العنصرية الصهيونية تتطلب استيعاب هذا الدور السلبي وهذا المأزق التاريخي الذي نشأ بسببه ، أي تتطلب نضالا فكريا وعمليا ضد العنصرية الصهيونية وضد حلفها مع الرجعية والامبريالية .

٦ ـ ان تعميق انسانية النضال القومي العربي الاشتراكي ، يشكل بحد ذاته عاملا مهما في كشف عنصرية الصهيونية ، وفي مواجهتها . ان نضال العرب من اجل التحرر من عنصرية الصهيونية هو في صالح كل القوى التي تؤمن بالسلام والتقدم في العالم .

ان السلام والاستسلام نقيضان ، كما السلم والحرب . كما ان السلام القائم على توازن القوى والرعب ليس سلاما حقيقيا . ومن هنا تبدو بشكل جلي سوءات وضلالات المنطق الذي يتجاهل الاخطار التي تنطوي عليها المخططات والمحاولات التي يعمد اليها التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي ، لفرض الحلول المعبرة عن مصالحه بالقوة حينا وبالخديعة والتضليل حينا آخر . ان السلام هو الهدف ، ولكنه السلام الحقيقي الذي يحل المشكلة ولا يعللها أو يزيدها تعقيدا واستعدادا للانفجار بصورة أشد في مرحلة لاحقة . وهذا السلام لا يتحقق الا بالنضال ، بنضال القوى المعادية للعنصرية التي ينبع السلام من فكرها وممارساتها وضميرها .

ان كل تخطيط للمستقبل لا يبني ثقافة الاجيال على المعرفة الحقيقية المتجهة الى السلام انما يبني عنصرية جديدة مضافة .

فلكي نواجه التحدي الصهيوني العنصري لا بد ان نفهم آلام اليهود وآلام العرب وان نحمل تصورا عن المستقبل يضع حدا حقيقيا لهذه الآلام .

ان العنصرية الثقافية والسياسية التي تشكل المحتوى الجوهري للتحالف الصهيوني الامبريالي ولمخططهما في المنطقة العربية ، لا تجابه بشكل حقيقي الا بالانتصار الفكري والعلمي على الظواهر السلبية القائمة على العنصرية ، أي على رفض الاخر واحتقاره والتعالي عليه وكراهيته، وعلى التعصب والانغلاق ، أي بالانطلاق من موقف انساني تقدمي حضاري تحتمه طبيعة النهضة العربية المعاصرة كحركة تحرر واشعاع وتجدد حضاري .

ان هذه المواجهة ينبغي أن تكون من خلال منطق الثورة التاريخية ذات التصور العالمي الانساني لمستقبل البشرية ، وأن تفهم ضمن اطار بناء العالم الجديد الذي تصنعه الثورات التحررية للشعوب في عصرنا، عالم الحرية والسلام والتقدم . والامة العربية لا تحتاج الى أن تكون شيئا آخر غير ذاتها ، ولا أن تؤكد على فضائل لم تمارسها عبر التاريخ ، لتكون مواجهتها للعنصرية الصهيونية بعيدة عن أمراض العنصرية ومؤكدة الطابع الانساني الحضاري لحركة انبعاثها الحديثة. ان القيم التي عاشت وتعيش عليها الصهيونية كحركة عنصرية ، تغذي أجيالا من العنصريين الذين انخذوا من عقد التعصب والكراهية والخوف أساسا لثقافة تقوم على محاسبة التاريخ البشري وادانة كل الامم وصب النقمة على العرب .

ان هذه القيم وهذه الثقافة وتلك التربية والايديولوجية وأنواع الممارسات الصهيونية تأخذ مكانها في التاريخ بالنسبة الى العرب ، كامتداد للغزوات الصليبية وغيرها من الغزوات العنصرية ضد الاسلام والعروبة في الماضي . الا انه بالقيم ذاتها التي واجهت بها الامة العربية تلك الغزوات وانتصرت ، هي مطالبة اليوم بأن تواجه العنصرية الصهيونية وتنتصر عليها : قيم الثورة الحضارية ، قيم الجماهير الكادحة المناضلة ، قيم الانسانية ، قيم العصر الحديث ، عصر الاشتراكية .

٧ ـ ان مواجهة التحدي العنصري الصهيوني ، لا بد ان تنطلق اذن من مواقع فكرية حضارية تقدمية مناقضة للمنطلقات العنصرية . فالطابع الفكري الايديولوجي لهذه المواجهة يفرض نفسه منذ البداية ، لان الحركة الصهيونية تنطلق من ايديولوجية تحاول تبرير ممارساتها العنصرية واضفاء ثوب من الشرعية على لامشروعيتها وعدوانها على كل مشروعية .

وقد لا يستطيع المنظور البرغماتي ، اي فلسفة المردود والنجاح ، فلسفة المدى القريب ، هذا المنظور العملي ، قد لا يستطيع أن يضيء اكثر من جانب جزئي من جوانب هذه المواجهة ، كما ان المنظور الطبقي الاممي على اهميته ، قد لا يعطينا اكثر من جانب آخر يبقينا ضمن اطار النظرة الجزئية الى المسألة .

فالمنظور الايديولوجي المتكامل الذي يستوعب ابعاد المسألة ، لا يمكن أن يكون نتيجة تعميم مستمد من الخبرات العامة في معالجة المسائل التي سبقت ، بل هو الذي يجمع الى جانب الاطار التقدمي العام والنظرة العلمية الواقعية في خطوطها الكبرى ، القدرة على استيعاب الخصوصية البالغة الدقة في هذه المسألة بالذات ، والكثيرة التشابك والتعقيد ، سيما وان الطابع الفكري (الايديولوجي) لمواجهة العنصرية الصهيونية يرتبط مباشرة (بالطابع الستراتيجي) لهذه المواجهة ، أي بالقوة المعنية بالصراع ضد التحالف العنصري الامبريالي الصهيوني الرجعي ، وهي تشمل القوى التقدمية في العالم بأسره ، وان كان العبء الاكبر على الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية ، وعلى يهود العالم المتحررين من العنصرية الصهيونية .

اهمية خاصة ، نظرا لانها جديرة بكشف البنية الاساسية لهذه النظم من ناحية ، وتبرز مكونات العقلية الاستيطانية من ناحية اخرى (١٣) . ان نتائج هذه الدراسات العلمية المقارنة ، يمكن ان تكون ذات قيمة بالغة لصانعي السياسة في البلاد التي تقاوم هذه النظم الاستعمارية ، فعلى ضوئها يمكن رسم الاستراتيجية الثورية لمجابهتها ، مهما ظنت هذه النظم انها قادرة على البقاء الى الابد . ومن خلال هذه الاستراتيجية يمكن القضاء ـ ولو في الاجل الطويل ـ على هذه الاوهام الاستعمارية من خلال العمل الفكري والنضال السياسي والعسكري .

السيد يسين
مدير مركز الدراسات السياسية والستراتيجية
مؤسسة الاهرام ـ القاهرة

الهوامش والتعليقات

(١) سبق لنا ان قمنا بدراسة تأصيلية واسعة المدى لهذه الظاهرة :
انظر : السيد يسين ، د. علي الدين هلال وآخرين ، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، القاهرة : معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٧٥ .

(٢) راجع مناقشة تفصيلية للموضوع في دراستنا : الايديولوجية والتكنولوجيا ، ١ ـ تعريفات مبدئية ووضع المشكلة ، مجلة الكاتب ، اغسطس ١٩٦٩ ، العدد ١٠١ ، ٧ ـ ٢٠ .

(٣)
- Schaff , A , La définition fonctionnelle de L'déologie et le probleme de « la fin du siecle de l'idéologie » l'homme et la societé , no ,4 . 1967 .

(٤)
- Felman , D . , in : Joseph S . Roucek , (ed) , Twentieth Century Political Thcught , New York : Philosophical library : 1946 , 105 - 131
Cox , O . C . Caste , Class & Race , New York : Monthly Review press , 1959 .

(٥) عبارة لادولف هتلر في كتاب : « كفاحي » ، مذكور في فيلمان ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٦) مذكور في فيلمان ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

(٧)
Gobineau ,D. Essai sur l'inégalité des races humaines Paris , Libraire de Paris , (sans date)

(٨) انظر عرضا دقيقا وتحليلا نقديا لهذه النظريات العنصرية في :
Sorokin , T.A. Contemporary Sociological Theories , Harper Torchbooks , 1964 , 219 - 251 .

(٩) راجع في تعريف هذه المفاهيم : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، رؤية نقدية ، تأليف واشراف : د. عبدالوهاب المسيري بالاشتراك مع سوسن حسين ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٧٥ .

(١٠)
- Tamarin , G . , The Israeli Dilemma : Essays on a warfare State , Rotterdam University Fress ,1973 .

(١١)
- Taylor , A.R . The Zionist Mind , Beirut , The Institute for Palestine Studies , 1974 .
انظر : السيد يسين ، قراءة سياسيه في خريطه الشخصيه الاسرائيلية ، الاهرام .

(١٢)
- Herman , S N . Israelis and Jews , New York : Random House , 1970 .

(١٣)
- Abu - Lughod & Abu - Laban , B . (Ed), Settler Regimes in Africa and the Arab world , The Illusion of Endurance , Illinios , The Medina U . N . Press , 6974 .

كيف نواجه الصهيونيه

تتمة المنشور على الصفحة ـ ٣٩

كما يرتبط البعد الايديولوجي والستراتيجي لهذه المواجهه بالبعد (التاكتيكي) المرحلي والظرفي الذي يستوعب حاجات مسيرة العالم التقدمية ، وظروف النضال والمخططات المعادية ، وتوفر الوسائل اللازمة لدحر هذه المخططات وتحقيق تقدم ثابت على طريق تحرير فلسطين من العنصرية الصهيونية .

٨ ـ على ضوء ذلك كله يتبين ان مواجهة العنصرية الصهيونية ، تتطلب عملا فكريا ونضاليا منظما يستقطب القوى الخيرة المحبة للسلام ، المستوعبة بعمق أبعاد الايديولوجية العنصرية الصهيونية وممارساتها اللاانسانية ، والمتحررة من التأثيرات والعقد المعادية لتحرر الامة العربية ونهضتها المعاصرة ، الساعية بلا كلل من اجل ايجاد قاعدة نضال مشترك عربي يهودي ، تحرري ، ضد العنصرية الصهيونية ، ومن أجل جعل أرض المحبة في فلسطين نموذجا للتعاون والتعايش والتحاب بين الديانات والقوميات والحضارات المتواجدة فيها ، ومقبرة للعنصرية والتعصب والحقد ، في ظل حياة ديمقراطية واطار سياسي منسجم مع الاهداف الحضارية الانسانية للنهضة العربية المعاصرة ، وغير متعارض او متنافض معها .

ان دور المفكرين الانسانيين التقدميين دور كبير في تحقيق هذه الغاية ـ المعجزة ـ ، في نظر الكثيرين اليوم . ولكن منطق التاريخ يؤكدها بالرغم من كل مظاهر السطحية الطارئة التي تجعلها أقرب الى الحلم في ظل الظروف الراهنة ، التي يحاول فيها التحالف العنصري الامبريالي الصهيوني الرجعي ، أن يثبت العكس ، وان يجعل من احداث لبنان صورة لمستقبل الوطن العربي ، صورة التمزق والعنصريات الطائفية .

ولكن وعي العالم ، العالم التقدمي ، وشعوب العالم اجمع والقوى الخيرة فيه ، ان وعيهم الكاشف للمؤامرة التاريخية على الامة العربية وعلى مستقبل نهضتها يطوق هذه المؤامرة وهو كفيل بردها على أعقابها ، لانها ضد منطق العصر ، وضد بديهيات التطور التاريخي .

وليس هذا الملتقى الفكري العالمي ، الذي نأمل أن يرسي دعامة عمل فكري دائم في الكفاح ضد العنصرية الصهيونية وفي شتى انحاء العالم ، ليس الا دليلا حيا وعمليا على أن الصفحة الجديدة المقابلة لصفحة الواقع الراهن الذي صنعته العنصرية الصهيونية ، قد بدأت تنذر العنصرية بمصيرها المحتوم ، وتفتح الطريق امام الحلول الجذريه الانسانية التي سوف تحقق السلام في هذه المنطقة العربيه وفي العالم اجمع .

الياس فرح
بغداد